مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ١، ربيع ١٤٣٩هـ
صفحة ١٣٧- ١٦١

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
jal-lq.ut.ac.ir

ظواهر الأسلوبية في سورة الحج

عزت ملا ابراهيمي[١]*، بايزيد تاند[٢]

١. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران
٢. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٢/٢١؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٦/٣)

الملخّص

الأسلوب في الدرس العربي الحديث فن من فنون اللغة والكلام وهو طريقة التفكير العميق لكي ينور من خلاله أهم الجماليات المكنونة في النص الأدبي، فلذا تناولت هذه الدراسة في ثناياها سورة الحج، وفق المنهج الأسلوبي الذي يتناول في مستوياته المختلفة (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي)، عما وراء الألفاظ والعبارات لكي يفصح من خلالها أهم الجوانب النفسية والدلالية؛ وسيلة للكشف عن المفارقة بين دلالة البنية السطحية الظاهرة، ودلالة البنية العميقة للسورة. وقد بدأت هذه الدراسة بتقديم تعريف عام بالسورة، إضافة إلى بيان لمفهوم الأسلوبية، ثم تناول الباحثان المستويات اللغوية في السورة مبتدئين بالمستوى الصوتي بما يتمثل فيه من دور شعوري وايحائي لجرس الأصوات، وما تفصح عنه تلك الأصوات من معان ودلالات حيث يمكن الوصول عن طريقها إلى المعنى الغائب الثمين في السورة. ثم تطرقت الدراسة إلى المستويين الصرفي والنحوي بمعالجة صيغ الأسماء والأفعال الأكثر بروزاً وما تعلقت به السورة من إنزياحات وتشويشات نحوية. ثم تناولت المستوى الدلالي متمثلاً بالدلالة البلاغية وتناسقها وقد تضافر التصوير المعتمد على التشبيه، والاستعارة، والكناية، والجناس، والطباق، في تشكيل الصورة الفنية في السورة تشكيلاً كشف عن التناسق الفني والدلالات المعبرة عن الغرض الأصلي في البناء العام للسورة.

الكلمات الرئيسة

الأسلوبية، سورة الحج، المستوى الصوتي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

* الكاتب المسؤول
Email: mebrahim@ut.ac.ir

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى القرآن وقوّمه في أفصح البيان وجعل له فضلاً على سائر النصوص في ألفاظه ومضامينه فلابدّ أن ندخل في غمار ساحته المليئة بكنوز المعاني والدلالات؛ لأنه في غاية الفصاحة والبلاغة، فهو أسلوب فريد يختلف عن الأساليب المعروفة في إيراد المعنى، وله طرق كثيرة تؤدي إلى فهم المعنى الغائب فيه، لذا يمكن القول بأن الأسلوبية هي إحدى الطرق التي تؤدي إلى معرفة كنوز المعاني المكنونة فيه، ومن الجدير بالعناية أن المنهج الأسلوبي من بين المناهج التحليلية الأخرى أفضل منهج لتحليل النصوص الأدبية؛ لأن هذا المنهج منهج لغوي يستفيد من علم اللسانيات كما يستخدم البلاغة القديمة ويقرب من النقد الأدبي.

فسورة الحج من السور المدنية الحافلة بمشاهد القيامة وأهوالها وتعنى أيضا بأمور الإنذار والتخويف، وموضوع البعث والجزاء و... فلذا قسمنا البحث حسب المستويات المعروفة: المستوى الصوتي، والمستوي الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوي الدلالي. وقد بيّنا في كل مستوى أهمية ذلك في رسم المعنى وتوضيحه بشكل يدل على الإعجاز اللغوي في هذه السورة. ولكن قد بدأنا هذه الدراسة بتقديم تعريف بمفهوم الأسلوبية، إضافة إلى بيان لغايتها ومن جهة أخرى إهتممنا بقضية الإنزياح والعدول بأنواعه المتعددة وما له من تأثير في خلق المعاني الجديدة بحيث يخلق تنوعاً أسلوبياً في النص القرآني مما يميز بطاقة إيحائية لجذب إنتباه المتلقي والتأثير فيه عن طريق التوسع في المعنى. لذلك تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل من أبرزها:

أولاً: محاولة إدراك الخصائص الصوتية والصرفية من خلال سورة الحج ورصد الظواهر اللغوية والأسلوبية للسورة وما لها من دور بارز في تنوير ظلال المعاني إذ لكل صوت وصيغة معنى خاص فلابد أن يتمسك بهذه الأدات البيانية ويستمد منها ضمن صلتها بالجوانب النفسية لكي تفصح من خلالها غاية الأصوات المستخدمة والصيغ الصرفية في السورة بأكمل وجه.

ثانياً: تلمس مظاهر العلاقة بين الصوت والدلالة في سورة الحج ودراسة بعض الظواهر الأسلوبية دراسة تطبيقية لاستجلاء أبعادها والكشف عن قيمها البلاغية والتعبيرية وما لها من دور هام في الكشف عن ذروة القيم النفسية والدلالية.

خلفية البحث

عندما نمعن النظر بالأسلوبية في سور القرآن نواجه أهم الدراسات التي تتطرقت إلى هذا الموضوع تطرقاً كاملاً بحيث يصعب علينا عدّها ومن الجدير بالانتباه أن الأسلوبية علم جامع تشمل المباحث الكثيرة وهذه الدراسات التي نجملها آتياً اهتمت بإحدي الجوانب الأسلوبية ولكن تغفل عن بعض الجوانب الأخري، وأما ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات الأخرى الاهتمام الأكثر بالجوانب النفسية والإيحائية أكثر من اهتمامه بالجوانب الصوتية واللغوية حيث تكشف عن المفارقة بين المعاني الظاهرية والمعاني العميقة، ففي هذه الدراسة حاولنا تتبع بصمات الشحن في الخطاب القرآني ممثلاً بسورة من السور المدنية هي سورة الحج ورصد القيم والملامح التي تنقل الكلام من وسيلة إخبارية عادية إلى وسيلة تأثير فنية اعتماداً على ثقافة الباحث في علم اللسانيات، وعلم البلاغة والعلوم الأخري ولكن نشير إلى أهم الدراسات الأسلوبية التي أجريت على القرآن ومنها: ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل لأسامة عبد المالك أبراهيم عثمان، حيث يتناول ما لتوظيف اللغة في الكشف عن مزايا النص وإستكشاف جماله بمعزل عن دراسة كل الجوانب الاسلوبية؛ وأما دراسة أسلوبية في سورة الواقعة لبلال سامي إحمود الفقهاء، فتناول سورة الواقعة وفق المنهج الأسلوبي ضمن صلتها بالجوانب النفسية والشعورية؛ وأسلوبية الإنزياح في النص القرآني لأحمد غالب نوري الخرشه كما يتضح من عنوانها تعتني بالإنزياحات والتشويشات اللغوية وكذلك عنيت هذه الدراسة بإظهار هذه الناحية؛ ودراسة أسلوبية في سورة الكهف لمروان محمد سعيد عبدالرحمن لعل، هذا الباحث في رسالته أوفر الباحثين حظاً في الإلمام بالجوانب الشعورية والنفسية؛ ومنها أيضا خصائص الأسلوب في سورة النمل من إعداد الطالب أحمد بزيو حيث اهتمت هذه الدراسة على دلالة المحسنات اللفظية والمعنوية أكثر من اهتمامه بالقضايا الأسلوبية الأخري وعلى اختلاف بعض اللغويين في التفسير، وإضافة إلى دلالات القصص وتوضيحها و... ولكن لم يوجد بحث علمي كامل حول سورة الحج التي نحن بصدده في مقالتنا هذه.

الأسلوبية

من خلال النظرة الشاملة إلى الآثار الأدبية واللغوية بشكل عام، ومن الوقفة الدقيقة أمام ماهية الأسلوب وحقيقته في هذه الأثار بشكل خاص، يتبين أنه ظاهرة جوهرية لا ظاهرة شكلية؛ لأنه يمثل:

١. أمارة يستدل بها على قدرات المنتج ومواقفه ومقاصده. ٢. إشارة يعتمد إليها في تحقيق التأثير المرمى إليه في الملتقي. ٣. قد يكون رمزاً للشرح والتفسير. لذلك الأسلوبية الأدبية ترمي إلى الخطاب وإفهام المتلقي لقد حدّد "بالي" حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام وفعل ظواهر الكلام على الحساسية، فمعدن الأسلوبية حسب نظرته ما يقوم اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية، بل حتي الاجتماعية والنفسية، فهي إذن تنكشف أولاً وبالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر النفسي (المسدي، ١٩٨٢م: ٤٠). وتتميز الظواهر الأسلوبية بخصائص وصفات وسمات إشارية محددة مستعينة بالأسلوبية اللسانية. فالأسلوبية الأدبية تستمد بأداة اللسانيات، ليمهد السبيل بوجه عام أمام التحليلات الدلالية فتنتج الكشف عن القدرات الإيحائية والطاقات التعبيرية للأسلوب القرآني في جميع مستوياته الدلالية، والتركيبية، والصرفية (خفاجي والآخرون، ١٩٩٢م: ١١). لا يفوتنا في نهاية هذه الكليات أن نشير بمنوال الأسلوب الذي نغمر فيه، فنتناول في البداية المستوى الصوتي الذي يتوقف على الجوانب الدلالية ثم تأتي المستويان الصرفي والدلالي في نهاية المطاف، مشيرين إلى أبرز المفاهيم الأساسية التي لها دور أساسي في تنوير المعاني بحيث تفصح أهم السمات الدلالية والإيحائية المعبرة عن الغرض المقصود.

١. المستوى الصوتي

هناك نوع من الأصوات يرسم صورة الموضوع، ولكن بجرسه الذي يلقيه في الأذن بل بظله الذي يلقيه في الخيال، وللأصوات كما للعبارات والألفاظ ظلال خاصة يلحظها الحس البصير حينما يوجه إليها انتباهه، وحينما يستدعي في خياله صورة مدلولها الحسية (قطب، ٢٠٠٣م: ٤٨). والألفاظ والعبارات لا يمكنها أن تعطي دلالتها كاملة إلا من خلال الأصوات وجرسها، وتستمد العبارة دلالتها الكاملة من خلال الأصوات واجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين، فدلالة العبارات ناجمة عن هذه الثلاثة المرسلة المعاني إلى كمالها وغايتها، لذا يهتم علم الأصوات بصلة بين الصوت والدلالة، بحيث بإمكاننا أن نعتبره مدخلاً لفهم المعنى، فللصوت وظيفة ترسيم الصور على هذا الأساس لكل معنى حروف تناسبه لا يمكن استبداله بحروف آخر (ابن ذريل، ٢٠٠٠م: ٩)، والأمثلة في هذه المشاهد كثيرة، وكلها تشير إلى أن جرس المفردات القرآنية وظلال خيالها يوحيان بالمعنى قبل أن يوحي المدلول اللغوي.

الهمس

الهمس هو ملمح صوتي يتسم بالليونة في طبيعته وتكوينه وفيه ملمح من الحزن أحياناً، على العكس من الجهر، فلا اهتزاز معه للأوتار الصوتية فالأصوات المهموسة (الفاء، والسين، والهاء و...)، هي التي لا اهتزاز معها للأوتار الصوتية ولا يسمع لهما رنين حين النطق بها (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م: ١٠)، فهي تتلائم مع معاني الطمأنينة والبشارة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾. فهمس السين المكررة، وخفة وقعها في الأذن يوحيان بظلال النعومة وراحة النفس، وفي تكرار صوت (الهاء) في "ذهب، والأنهار و..."، جرس يوحي بدلالة المعنى إذ يرسم صورة حسية لإقبال السعادة وراحة النفس بجوانبها المختلفة.

كما إن التكرار الصوتي لهذه الأصوات مجتمعة ومتفرقة تأتي عن قصدية كاملة من المبدع، لذا تأتي هذه الأصوات في النص القرآني بما يوافق المعنى، ويعبر عنه (عبد العال، ١٤١٥م: ٧)، فمثلاً عند الكلام عن أحوال الأشقياء وتعذيبهم لأول الحديث عن أهوال يوم القيامة نشاهد حضور الأصوات الشديدة المجهورة التي تتوافق وهذا المعنى، أما عند الكلام عن النعيم الذي أدخره الله لأوليائه المؤمنين والحديث عن مواضع العبرة فنرى مجيء أصوات مهموسة متفقة مع المعنى ومعبرة عنه. والنتيجة فإن جرس الأصوات وظلالها يأتي ملبياً لحاجة المعنى والسياق أي أن تكرار الأصوات في القرآن الكريم هو وسيلة يتخذها السياق القرآني للتعبير عن معانيه وأغراضه.

الجهر

الجهر في الأصوات ناتج عن «اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منتظماً يحدث صوتاً موسيقياً، فالجهر إذا هو ارتفاع في شدة الصوت، فيكون للصوت المجهور من سمات القوة وطبيعة التأثير» (عبدالرحمن، ٢٠٠٦م: ٨). فالأصوات المجهورة هي (الذال، والدال، والراء، و...) تمنح الكلام قوة بحيث تتلائم مع معاني التخويف والإنذار. فمن أنماط هذه الأصوات المجسدة عن المعنى في هذه السورة قوله تعالى: ﴿**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ**﴾، فهذا التتابع الصوتي للحاء والطاء والصاد والقاف، يترك في الحس حال تلك الأشقياء وأنواع عذابهم بأشد حالاتها، فجرس هذه الأصوات تعبر عن حالة شدة العذاب والصعوبات التي تعيشها الأشقياء والمتمردون، فالإنسان يشعر بالخوف والهلع من

جرس هذه الأصوات (عبد العال، ١٤١٥م: ١٣) . هناك لصوت النون ميزة خاصة التي يتسم بها، لا شك أن صوت النون يمثل رنّة وغنة، وتنشئ قوة إسماع ويؤدي في إيصال المعاني إلى السامعين بأكمل الوجه، لذا تكرار صوت النون في قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**﴾، قد نشاء عن تردد صوت النون عدة مرات نوع من الموسيقى، ترتاح إليه الأذن وتميل إليه، حيث الغنة مع النون المشدّدة في كلمتي (إنّ) و(يظنّ) تهب نغمة موسيقية محببة إلى الأذن، هذا الصوت يمنح الكلام قوة في الطرح وقدرة في العرض ويؤدي أيضا إلى تقريب المعاني وملامستها، بحيث يكاد المخاطب أن يلمسها.

التفخيم والترقيق

يظهر التفخيم قوة وتمكناً وتعظيماً في الصوت مخالفاً للصوت المرقق المقابل له، فالأصوات المفخمة تشكل ملمحاً من ملامح القوة، والتعظيم وأما الترقيق فيظهر الليونة والتودد والراحة، لذا الأصوات المرققة تتناسب مع جوء الرحمة والتودد فبها يكتسب الكلام ليناً ورقة (أنيس، ١٩٧٣م: ١٢٧).

من المشاهد العظيمة المخيفة التي تظهر فيه الأصوات المفخمة نحو (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، و...) مشهد الجحيم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾، فقد ساعد ملمح التفخيم بما فيه من دلالات القوة والتمكين في تركيب "أصحاب الجحيم" قوة وشدة في ترسيم هول الموقف وعظمته، فالصوت (الصاد) هو الأكثر إنسجاماً مع سياق التعظيم، فيزيد وقع الصوت من التأثير والتخويف من عاقبة المصير. وأما الأصوات المرققة نحو (الراء واللام و...) فيه ملمح من ملامح الهدوء وصفة من صفات اللين حيث تملاء الجوء ليونة ورقة ويتسع بها مجال الرحمة والتودد وذلك كقوله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾، فتكرار صوت (الراء) في الآية يتناسب مع جوّ الرحمة والتودد ويوحي إلينا أيضاً نوعاً من توسع في الرزق والرحمة.

الأصوات الصفيرية

قد يجسد الأصوات الصفيرية نحو (الصاد، والسين، والشين، والزاي) الحالة النفسية وتكشف عن شحنات نفسية وساهمت أيضاً في تقوية معنى الكلمة والعبارة من خلال ملمحه

الصفيري، الذي يشتد وقعه على الآذان، بحيث تمنح هذه الأصوات بروزاً متميزاً للألفاظ التي ترد فيها فتبدو أكثر لفتاً للإنتباه وأشد جلياً للأسماع (الشايب، ١٩٩٩م: ١٩٦) وقد ساهم الأصوات الصفيرية في كلمتي (سميع) و(بصير) الواقعتين في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾، في تقوية المعنى الكلمتين لذلك تدل هذه الأصوات على بلوغ المعنى في شيء بلوغاً تاماً أي ترسم بلوغ صفة السماع والعيان في وجود الله تعالى بصورة كاملة. فيدرك بالسميع التوسع في المعنى. يعبر تارة بالسمع عن الأذن وتارة عن فعله كالسماع وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة.

التفشي

يعد صوت الشين حرفاً تفشياً، وسميت بذلك، لأنها تفشت في مخرجها «ومعنى التفشي هو كثرة خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها» (القيسي، ٢٠٠٥م: ١٠٩). قد أسهم تتابع هذا الصوت في تصوير المعنى المقصود، بحيث يضاعف من مساحة المعنى ينشره أكثر فأكثر، كما في قوله: ﴿**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾، ضاعف صوت الشين من مساحة هذا الشرك، ومن حجم هذا الشرك، وجعلها أكثر إنتشاراً ووصولاً إلى الآذان.

النبر

فيه ملمح من القوة والحركة، يعطي الصوت قوة وشدة، فارتبط ذلك «بالحالات الإنفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء» (البهنساوي، ٢٠٠٤م: ٥٢). نلاحظ في قوله تعالى تتابع وتكرار الصوت المهموز الذي هو من أقوى الأصوات للتعبير عن مدى الانفعال النفسي ﴿**يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾، فتظهر مدى ترحم الله -تعالى- وتأسفه على ما هم (العباد) مقبلون عليه من مواقف ضالة، فيعكس هذا الصوت مدى إظهار التأسف وغايته. وأما النبر في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾، فينبه المخاطبين على عاقبة مصيرهم وشناعة موقفهم، لما فيه من توعيد وتهديد. فهذه من خصائل الأصوات الإنفجارية التي تذكي النفوس وتوقظ القلوب من سنة الغفلة.

ومن مظاهر النبر الأخرى هي التضعيف ومد حروف المد، شاهدنا على هذا الأخير في السورة وهو قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، ففي تكرار حروف المد مساحة واسعة لبث الشكوى والتأسف، لما فيها من المد والطوال بحيث لها دور هام في ترسيم الحالة الشعورية من المبدع.

ومن مظاهره أيضا التضعيف، ومعلوم أن التضعيف من دلالاته أنه يدل على شدة الحدث كما في فعلي (قطّعت) و(يصبّ) في قوله تعالى: **﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾**، فقطّع تدل على الشدة في التقطيع أكثر من قطع وهكذا يكون فعل (الصب) أيضاً، فلها المشاهد الكثيرة كما أن تضعيف كلمة (المعترّ) الواقعة في قوله تعالى: **﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾**، يدل على شدة الفقر والفاقة، فمعنى المعتر: أي البائس المدقع الذي وصل في الفقر غايته.

الفاصلة القرآنية

يقول السكاكي في كتابه مفتاح العلوم، بناء على التعريف الذي إستقاه من سابقيه: «الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر» (السكاكي، ١٩٨٧م: ٤٣١). فالفاصلة تطلق على نفس الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى (عبد الغفار، ٢٠٠١م: ٣٥). لذا يتسم السجع (الفاصلة) بكونه بنية بديعية إيقاعية يرتكز إيقاعها على التكرار الصوتي المنتظم. وأفضل السجع ما تساوت فقره بما له من كثرة الإيقاع.

السجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه فاصلة الفقرتين في الوزن والقافية (التفتازاني، ١٣٣٩هـ: ج٢/٢٨٩) نحو قوله تعالى: **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** فهدف السجع في الآيتين تحقيق قدر من جمالية إيقاعية، فالسجع في الآيتين السابقتين بما نلاحظ من تساوي كلماته وفقراته يؤدي إلى كثافة إيقاعية فهذا النوع من السجع يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيها إلى أعلى درجات الإيقاع، فأحسن السجع عند البلاغيين ما تساوت قرائنه في عدد الكلمات ليكون شبيهاً بالشعر.

السجع المطرف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في حرف الروي (الهاشمي، ١٩٩٩م: ٣٣٠)، نحو قوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**. سمي هذا الوجه بالمطرف لأن قيمته الإيقاعية تكمن عند الأطراف حيث يضفي دلالة مستمدة من الطبيعة الصوتية للحروف بما يحقق من موسيقى

تتسق مع إطار الآية وإطار السياق وإطار السورة كلها. ضمن الظواهر اللافتة في هذه السورة أن الخروج من سجع إلى أخر كان يرتبط بالإنتقال من محور معنوي إلى أخر. يتضح مما سبق أن الوحدات السجعية المختلفة تندرج في وحدة دلالية مختلفة فإذا كان نظرنا إلى الوحدات الطويلة بقصد ملاحظة الشكل والمحتوى، فسوف نجد أن أكثر ورودها كان في القصص القرآني. جاءت الفاصلة في أكثر مواضع السورة على صورة حروف المدّ ليعبر عن المعنى الذي تنشاء منها، فهذه الحروف ـ كما تعلمون ـ توحي إلينا معاني العظمة والشدة فهي ملائمة لجوء السورة التي ترسم مواقف العظمة بأجمل الوجه سواء كانت قيامة أو جحيما أو... لذا جاءت الفاصلة في أكثر مواضع السورة على صيغة (فعيل) لتمنحها إيقاعاً جميلاً وقد تأتي الفاصلة فيها على وزن (يفعلون) ليرسم المعنى المقصود الذي وضع له.

الموازنة

هي تساوي الفاصلتين أي الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو من المصرعين في الوزن دون التقفية (التفتازاني، ١٣٣٩هـ: ج٢/٢٩٣)، نحو قوله تعالى: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾. إن الموازنة ترتبط بالإيقاع وتسهم في خلق أنماط مختلفة، فكلما كانت هذه الموازنات معبرة عن معنى القوة والشدة في وصف العذاب وأحوال الأشقياء كان الإيقاع شديداً ذا نغمات عالية، أما إن جاءت لتعبر عن النعيم ووصف الجنة فإن الإيقاع سيكون هادئاً مناسباً لهذه المعاني. فهذه الدفقات الموسيقية المتتابعة جاءت لتخدم الغرض القرآني وتعبر عن غايته وهدفه وكان لها دور بارز في انتباه السامع وإيقاظه من سنة الغفلة.

٢. المستوى الصرفي

وفي كل مجتمع من المجتمعات تكون وسيلة الاتصال الوحيدة بين الناس هي اللغة، التي تنتظمهم جميعا (عموري، ١٤٣٨هـ: ١٠٣). هناك للغة بنيتان عند "تشومسكي"، البنية العميقة والبنية السطحية. والمقصود بالبنية العميقة عنده، المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم، ومقياسه المقدورة أو الكفاية اللغوية، أما البنية السطحية فهي ما ينطقه الإنسان فعلاً ويمثلها الأداء الفعلى للغة والكلام، فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجهاً فكرياً ووجهاً عاطفياً ويتفاوت وجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري وحسب وسطه

الاجتماعي والحالة التي يكون فيها (المسدي، ١٩٨٢م: ٤٠). وأما المستوى الصرفي فيهتم بالجوانب العاطفية والدلالية للأفعال والأسماء بحيث يعتني بالمفارقات الدلالية بين الأسماء والأفعال وما لها من دلالات مختلفة كالثبوت والتجدد و... سواء كانت معنوية أو لفظية، «ويكشف أيضاً عن الإمكانات التي تحملها الصيغ في استعمالات الأدباء» (عرار، ٢٠٠٢م: ٢٦).

لقد مال القرآن الكريم إلى استخدام المشتقات استخداماً واسعاً، وتجلى ذلك باستخدام إسم الفاعل، وإسم المفعول و... على وجه مخصوص بشكل لافت، وكانت هذه الصيغ مشحونة بدلالات خصبة، وإيحائات عميقة مؤثرة وهذا ما يوحي بدقة التعبير القرآني في اختيار الصيغ الصرفية المعبرة عن الغرض المقصود. لذا نرى تركز في التالي إلى أهم الدلالات الإيحائية للصيغة الأفعال مشيرين إلى أبرز الجوانب الدلالية الجديرة بالاعتناء والانتباه.

الفعل ودلالته: جاء الفعل في ثناياء السورة لدلالات مختلفة، فالقيم الدلالية المكنونة في الفعل توصل معناه أكثر انتشاراً وتفشياً، فعل (تصبح) الواقع في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾، جاء بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وإفادة بقائها كذلك مدة من الزمن، لكي يؤثر باستحضارها في نفوس المتلقين وهي أيضاً سبب لبث بذور الهداية في النفوس، قد يأتي الفعل للديمومة والاستمرار، لا يراد حال ولا استقبال يقال: فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين، إنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته (الزمخشري، ٢٠٠١م: ج١٥١/٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، أي الصدود منهم مستمر دائم، جاء الفعل بصيغة المضارع ليدل على الإستمرار فكأنّ المعنى: إن الذين كفروا من شأنهم الصدّ عن سبيل الله. وإذا كان الفعل في مقام المدح يدل أيضاً على الإستمرار والثبوت، منه قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾، ففعل (يسجد) يدل على سجود كل شيء لعظمته طوعاً وكرهاً بصورة مستمرة. وقد يفيد المضارع الإستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام وبمعونة القرائن (الهاشمي، ١٩٩٩م: ٦٦) نحو قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾، فقرينة المدح تدل على أن الإنفاق والصدقة ديدنهم، وشأنهم المستمرون الذين لا يحيدون عنه، ويتجدد آناً فآناً.

إسم الفاعل: إن هذه الصيغة في أكثر الأحيان تضع موضع فعل المضارع متضمناً معنى الحال والاستقبال ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾، وإسم الفاعل بالنسبة إلى فعل المضارع فيه معنى التسرع والحركة فهو يجعل الحدوث أكثر تسرعاً وحركة والأذن

على سريع التأثر بسماعه. وإسم الفاعل (المقيمي) الواقع في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾، فتدل على الإستمرار التجددي «فيتجدد آناً فآناً، أي الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها كاملة مع الخشوع والخضوع» (الصابوني، ١٩٩٤م: ٢/ ٢٨٩)، قد عدل عن الفعل إلى الإسم دلالة على كمال العناية بحصوله، فهذا التركيب أدل علي إقامة الصلاة من قولك: يقيمون... وأما إسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾، فيها معنى الثبوت والديمومة، فكلمة (العليم) من مبالغات إسم الفاعل، صفة مشتقة على وزن فعيل من علم المتعدي وقد يكون صفة المشبه بإسم الفاعل لدلالته على الدوام والإستمرار وهكذا كلمة (السميع) فيؤكد الجملة الأسمية حكم إسناد ذات الله ـ تعالى ـ بهذه الصفات الثابة والراسخة حيث ترسم كماله في اتصافه بهذه الأوصاف بما أنه الله تعالى قدبلغ في اتصافه بها غايته. وقد يأتي صيغة إسم الفاعل دلالة على الثبوت والإستمرار نحو كلمة (القاسية) الواقعة في قوله تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَايُلقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ والقاسيةَ قُلُوبُهُم وإنَّ الظَّالمينَ لَفِي شِقاقٍ بَعيدٍ**﴾. فهذه الخصلة تتميز بها قلوب الكافرين بصورة مستمرة بحيث لا تلين قلوبهم لذكر الله وهي من خواص الكفار إلى أن نشعر بشدة هذه الخصلة في قلوبهم بشدة جرس حرف (القاف).

صيغة المبالغة: تظل صيغة المبالغة تستغل حيّزاً واسعاً في هذه السورة العظيمة، ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَدافِعُ عَنِ الذينَ ءامنُوا إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾، فكلمتي (خوان) و(كفور) تدلان على معاني الكثرة والتفشي، وفيهما مبالغة رائعة في إيصال المعنى والتشديد، يشير إلى الكثرة في صفة الخيانة والكفران، إن الكلمتان اللتيان أختارهما لهذا المفهوم تلائمان ملائمة تامة مع الغرض. من هنا نرى أن استخدام صيغ المبالغة في هذه السياقات جاء للدلالة على المبالغة والزيادة في المعنى وأن هذه المبالغات تلائم ملائمة تامة مع غرض الأيات ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾، فهذه الصيغ المبالغة المستعملة في هذه الآية تتناسب مع كثرة رحمة الله وكثرة غفرانه الذنوب، فإنه تعالى مع كمال قدرته على الإنتقام يعفو ويغفر ساتراً ذنوب العباد، وفيها تعريض بالحثّ على العفو والصفح بحيث تتسرب هذه الصفة من الله إلى نفوس العباد.

دلالة التعريف والتنكير: جاء حرف اللام في السورة لمعان مختلفة، منه الاستغراق وذلك كقوله تعالى: ﴿**يعْلَمُ ما بَيْنَ أيْديهِم وَما خَلْفَهُم وإلى اللهِ تُرْجَعُ الأمُور**﴾، إي كل الأمور بأسرها.

ومنه العهد الصريح وذلك مثل كلمة (المولى) في قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ الْنَصَيرُ**﴾. ومنه لام العهد العلمي وذلك مثل كلمة (الساعة) في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ السَّاعةَ ءَاتيةٌ لاريْبَ فيها وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبُورِ**﴾ أي الساعة المعهودة لك وتعرف عند المخاطب. وجاء التنكير في السورة للأغراض المختلفة، منها التفخيم والتكثير وذلك مثل كلمة (الخير) في قوله تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُم مِنْ شَعائرَ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا**﴾، إي خير كثير. ومنها التقليل وذلك مثل كلمتي (خير) و(فتنة) في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرفٍ فَإنْ أصابَهُ خَيرٌ إطمأنَّ بِهِ وَإنْ أصابَتْهُ فِتْنَةٌ إنْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُنيا وَالْأخِرةَ ذَلِك هُو الخُسرانُ المُبِينُ**﴾، إي خير قليل.

٣. المستوي التركيبي (دلالة الجمل)

فالتراكيب النحوية أولى بأن تكون مجالا للدرس الأسلوبي، فإن ما يقرره علم النحو من البدائل المتاحة أمام الأديب قدر غير قليل من التراكيب الصحيحة وإن تكن متفاوتة الدرجة من حيث القبول، يستطيع الدارس الأسلوب أن يتناول تلك البدائل الصحيحة ويعرض لما يجده شائعا منها لدى الأديب، يتبين مبلغ اقترابه أو ابتعاده من النمط المألوف في الاستعمال العام (عبدالله جبر، ١٩٨٨م: ٧). فالدارس الإسلوبي بمساعدة علم النحو يستطيع أن يدع تقدير درجة قبول الجمل لعلم البلاغة «ويشير أيضاً إلى دلالات هذه الإنزياحات الأدبية في الجمل ومدي تأثيرها في نفوس المتلقين وما للمبدع من براعة فائقة في استخدم الإيحائات التعبيرية المكنونة فيها التي لها دور بارز في تنوير ظلال العبارات» (أبو عودة، ١٩٨٥م: ٧٥).

نسق الشرط: تتشكل الجملة الشرطية من فعلين، أول الفعلين الواقعين بعد أدوات الشرط يسمى شرطاً، والثاني يبنى عليه باعتبار كونه مسبباً عنه ويسمى جواباً ويقال له الجزاء أيضاً لترتبه عليه كما يترتب الجزاء على العمل. فالشرط هو يتكون من الجملتين ترتبط كل منهما بالأخرى ارتباطاً وثيقاً، «وتكون إحداهما سبباً في حدوث الأخرى» (البياتي، ٢٠٠٣م: ٣٥٣).

(إذا + الفعل الماضي + الفعل الماضي): وذلك كقوله تعالى: ﴿**الَذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وُجِلتْ قُلُوبُهم**﴾، الأصل في إذا أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه، كما تقول: (إذا زالت الشمس أتيتك). إن الصيغة الفعل الماضي في الآية تفيد الإستقبال وإنما أستعملت (إذا) مع صيغة

الماضي لإرادة التنبيه على تحقق وقوع الشرط، من وظائفها المعنوية تفيد المبالغة وتحقق الوقوع وهذا كالبرهنة والإقناع مع إفادة تحقق الصفة للمخبتين، فتوصل المدح غايته.

(إنْ + الفعل المضارع + الفعل الماضي): وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قوم نوحٍ وَعادٌ وثمُودُ**﴾، الأصل في (إن) ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه، كما تقول لصاحبك (إن تكرمني أكرمك وأنت لا تقطع بأنه يكرمك)، لذلك يوجد الشك في وقوع التكذيب؛ لأن كلهم لايكذبوه لذا يتلو (إن) المضارع لاحتمال الشك في وقوعه.

نسق الاستفهام: جاء هذا النسق في أكثر مواضع سورة الحج في حال التقرير فمازال يريد التقرير من خلال توجيه السؤال وتقريره وهذا الغرض من الاستفهام، فيه البراهين المكنونة والحجج الدامغة لإثبات المفهوم الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿**ألَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ يَعْلمُ ما فِي السَّماءِ وَالأرضِ إنَّ ذلكَ فِي كتابٍ إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرٌ**﴾، الاستفهام التقريري إي لقد علمت يا محمد أن الله أحاط علمه بما في السماء والإرض، فلا تخفى عليه أعمالهم وفيها معاني الإحاطة والشمول وكذلك الاستفهام الذي يفيد التقرير يأتي في قوله تعالى: ﴿**ألَمْ ترَ أنَّ اللهَ سَخَّرَ لكُمْ ما فِي الْأرضِ**﴾ فهذه الآية ترسيم لكمال القوة والمقدرة.

نسق النفي: جاء في سورة الحج هذا النسق في حال النفي المؤكد وقد قيدت النفي المؤكد؛ لأن نفي الجملة الإسمية لم يأت إلا مؤكداً. أما في هذه السورة يمكن التقسيم الجملة المنفية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: نفي مؤكد بحرف جر زائد ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ بِسُكَارَى**﴾، (أداة النفي + إسم + حرف جر زائد + خبر النكرة) والنكرة ـ كما تعلم ـ في السياق النفي تفيد العموم، (وتراهم سكاري) على التشبيه، وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه (الزمخشري، ٢٠٠١م: ج١٤٤/٣)، فهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فترسم هذه الآية غاية الخوف والقلق.

الثاني: نفي مؤكد بحرف وتقديم الظرف على الخبر كما في قوله تعالى: ﴿**ما لِلْظالِمِيْنَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾، (أداة النفي + إسم + الظرف + حرف الجر زائد + خبر النكرة)، قد قدم الظرف في هذه الآية للاهتمام بالمتقدم ولاهتمامه بالظلم الذي هو أشنع الذنب بحيث لا يغتفر عند الله.

الثالث: أداة النفي + لفظ الكل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ كلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، قد جاءت هذه الآية لعموم السلب ومعياره الذوق والمقام، فترسم هذه الآية المشاهد القانطة، التي فيها نوع من اليأس والخوف للمتكبرين بما أن الله جعل العلة في ذلك أنه يدافع عن الذين آمنوا فيما سبقه في الآية ويدافع عنهم وينصرهم ففعل (يدافع) فيه مبالغة في الدفع عنهم، على العكس يغالب في عذاب المتكبرين؛ لأن فعل المغالب يأتي أقوى وأبلغ.

التقديم والتأخير: هذا باب عريض طويل، دقيق المسلك المهدي إلى إدراك كنوز المعاني، يشتمل على أسرار مكنونة في الجمل والعبارات، لما يحدثه من تغييرات في مفاهيم العبارات بحيث تنشاء المعاني الجديدة والدلالات المعبرة عن الغرض الأصلى نتيجة هذه التغييرات، لذلك ندرك من خلال علمنا به المفاهيم المكنونة في الجمل أحسن إدراك. فتقديم الفاعل المعنوي في قوله تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنّه يُحي المَوْتى وَأَنَّهُ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيها نوع من التؤكيد بأن الله وحده يحي الموتى لاغيره وفيها أيضاً قصر القلب لمن يعتقد أن غير الله يحيي الموتى. قد يقدم اسم على الاسم الأخر لشرف منزلته وعلو مقامه كما يقدم الرسول على النبي في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍ إِلَّا إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمنِيَتِه فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللهُ ءاياتَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكيمٌ﴾، لأن الرسول أشرف منزلة بالنسبة إلى النبي، لما للرسول كتاب فضلاً عن المعجزة. وفي بعض الأحيان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْديهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾، أي إلى الله ترجع الأمور لا إلى غيره. ومنه مراعاة الترتيب الوجودي وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يأ أَيُّهَا الَذينَ ءامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدوا﴾.

التأكيد: زيادة اللفظ على المعنى، لزيادة تقرير المعنى ووقعه في نفوس السامعين بحيث يزيل الشك والشبه في النفوس، فيزيد المعنى ذلك شرفاً ونبلاً كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ فالجملة التي تحتها الخط مؤكدة للجملة الأولى، فهو توكيد معنوي لها وفيها أيضاً كمال الإتصال بحيث تتحد الجملتين إتحاداً تاماً وإمتزاجاً معنوياً بحيث تفصل الثانية من الأولى، لأن الثانية تنزل من الأولى منزلة نفسها، فالغرض منها التوكيد والتقرير المعنى في النفس. ونلاحظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السّاعَةَ ءاتِيَةٌ لارَيْبَ فيها وَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ﴾، ثلاثة الجمل مما يكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى فتفيد التقوية والتأكيد مما يزيل الشك والإبهام في نفس المتلقي وسبب الفصل بينهما كمال

الاتصال؛ لأن الثانية تشمل الأولى وتؤكدها تأكيداً تاماً. وأما سبب العطف في الجملة الثالثة يعود إلى وجود الجامع بين الجملة الثالثة والجمل ما قبلها، فجامع الموافقة سبب اجتماع هذين الجملتين. وأما بالنسبة إلى الإطناب فنلاحظ هذه الظاهرة في بعض مواضع السورة التي يأتي فضلاً عن غرض التأكيد لأغراض أخرى تستفاد بالقرائن والسياق، ومنها الإمتنان بتعداد النعم وكثرة خيره وبركته وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرضِ إلا بِإذنِهِ إنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾. ومنها ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**وَارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾، بداء بخاص، ثم بعام، ثم بأعم. فيفيد هذا الأسلوب الإحاطة والشمول لكي يتضمن جميع الأعمال الصالحة بأتمها. ومنهاالتأكيد بإعادة الفصل مثل قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوثانِ وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ**﴾، لذلك في تكرار الفعل نحس التأكيد والتقوية مما يجعل الكلام أوقع في النفوس وفي تكراره دلالة على أشد الاجتناب والحذر.

ظاهرة الحذف: هي من أهم الظواهر الأسلوبية اللافتة النظر في القرآن الكريم ومنه في سورة الحج، وهي في مواقع تكون أبلغ من الذكر، ربما يكون الكلام بليغا بحذف كلمة تحمل الكلام قيما تعبيرية كحذف الفاعل والمفعول و... ومنها قوله تعالى: ﴿**هذانِ خَصْمانِ إخْتَصِمُوا في ربِّهِمْ**﴾، أي في دين ربهم على حذف المضاف ومنها أيضا الحذف لدلالة السياق عليه كقوله تعالي: ﴿**أُذِّنَ لِلَذِينَ يُقاتَلُونَ بِأنَّهُم ظَلَمُوا وَإنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾، أي أذن للجهاد للذين يقاتلون. وأما الغرض من الحذف فهو يؤدي التوازن الداخلى في داخل السياق فضلاً عما يؤدي هذا الحذف من خفة وسهولة ومرونة في التعبير، وحسن في الأداء، وجمال في الأسلوب.

٤. المستوى الدلالي

إذ يعدّ هذا الإنزياح من أبرز أنواع الإنزياح التي وظفها التعبير القرآني للكشف عن خصوصيته في الإنزياح عن المعنى الأصلي إلى معنى جديد يدرك من خلال السياق الذي يرد فيه، وهو أيضاً يفصح عن بلاغة النص القرآني وروعة بيانه، لهذا فإنه يدعو إلى التأمل والتدبر المستمر لإدراك ما وراءه من مقاصد وإيحائات، وللوصول إلى عمق الدلالة وعدم الوقف عند سطحية النص وظاهر العبارة (الخرشة، ٢٠٠٨م، ص٤١)؛ لأن الشيء إذا كان كثر

إستعماله وتردده كان مدعاة لجلب السأم والضجر، ولهذا فإن الجوانب الدلالية تعدّ من أقدر الأساليب البيانية على تجنب الرتابة، وإبعاد السأم والضجر عن نفس المتلقي، لما لها من قدرة على تجاوز المعاني الوضعية الأولى والإنزياح عنها إلى الدلالة الثانية التي تكمن وراء الألفاظ وسياقات العبارات لذلك حين نحكم على قيمة العمل الأدبي من خلال العبارة، لانكتفي بدلالتها المعنوية، فهي عنصر واحد من عناصر دلالاتها، فلابد أن نضم إليها عنصري الإيقاع والظلال، فهي في مجموعها تدل على القيمة الكاملة لهذا العمل (قطب، ٢٠٠٣م: ٥٠). لذا نستنتج أن الألفاظ وكيفية نسقها وتنضيدها عنصران أصليان في العمل الأدبي بحيث ينقلان إلينا كامل شعور الأديب ومشاعره.

ظلال العبارات

فالعبارة مجموعة ألفاظ منسقة على نحو معين لأداء معنى ذهني أو معنى شعوري والألفاظ لا تستطيع أن تعطي دلالاتها كاملة إلا في هذا النسق وتستمد العبارة دلالاتها -في العمل الأدبي- من مفردات الدلالات اللغوية للإلفاظ، ومن الدلالة الناشئة عن إجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين، ثم من الإيقاع الموسيقى الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغماً بعضها مع بعض، ثم من الصور والظلال التي تشعها الألفاظ متناسقة في العبارة (قطب، ٢٠٠٣م: ٤٩). لذا نتعرف من خلال ظلال العبارت بأهم القيم العقلانية والعاطفية التي لها دور أساسي في تنوير المعاني وإيصالها في نفوس السامعين.

قد تندرج الدلالة الكاملة للعبارة في الموسيقى الناشئة من تنسيق الألفاظ نحو قوله تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ ما يُلْقِيَ الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالقاسيَةِ قُلُوبُهُمْ وإنَّ الظّالِمِينَ لَفي شِقاقٍ بَعيدٍ**﴾، فجرس هذه الألفاظ يوحي إلينا جواً من التعاسة والغضب، إن في الموسيقى هنا خشونة ودمدمة بحيث نشعر بها الجوّ الممتلئ بأنواع العذاب والمواقف الصعبة فالموسيقى هنا قاسية عنيفة مما يضع هذا الجوّ موضع الهول والتحذير وكم نشعر بالحزن والألم بقراءة هذه الآية لما فيها من تهديد وتوعيد فيها أيضا نوع من الترهيب والتخويف للمخاطبين بحيث تحذر الناس من عاقبة الظالمين نتيجة ما يفعلون دون أقل إهتمام بعاقبة مصيرهم. وأما في قوله تعالى: ﴿**يا أيُّهَا النّاس إتَّقوا ربَّكُمُ إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعةَ شَيْءٌ عَظيمٌ * يَومَ تَرَونَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُم سُكارى ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ**﴾، فنشعر بصعوبة الموقف وهوله بحيث يفرّ الناس من عذاب

الله من هنا إلى هناك ولكن ما من مفر. نحن مع هذه الآيتين في عالم مليء بالصعوبات والتعاسة واليأس لا رحمة فيه ولا محبة، فهما تنقلان شعور أهل القيامة إلى أنفسنا لنشاركهم مشاعرهم كأنما نعيش هذه اللحظة الخطيرة الممتلئة بالآمال المحطمة بحيث يدخل في نفس الإنسان الشعور بالوحدة دون إي شخص حميم.

وقد تأتي بعض الآيات ترسيماً لمشاعر أهل الجنة وأحاسيسهم، فعالمهم عالم مليء بالرضاء والسرور وكلما نقراء مثل هذه الآيات نشعر بالسرور والفرح، مما يكسو المخاطبين ثوب الإطمئنان والنشاط ومثل ذلك قول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَدْخُلُ الَذينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحاتِ جَنَّاتٍ تّجري مِنْ تَحتها الأَنْهارُ يُحَلُّونَ فيها مَنْ أساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلؤاً ولِباسُهُم فيها حَريرٌ**﴾. فكَم نشعر بالإطمئنان والرضاء بقراءة هذه الآية، لما فيها من ترغيب وتشجيع يبعث روح الأمل والرجاء في نفوس المتلقين فتعكس الآية الجو المليء بالحنان والفرح والرضى الكامل وفيها أيضا وثبة وحركة نحو فعل الأعمال الصالحة وإن في الموسيقى هنا ليونة وشفافة مما يضع هذا الجوّ موضع الرضاية والاطمئنان. فجرس الأصوات جاءت لتخدم الغرض القرآني ويعبر عن غايته وقصده ثم إنه خلق إيقاعا يتلائم وذلك المعنى الذي عبر عنه من حيث طول زمنه وقصره أو هدوئه أو قوته وشدته أو رخاوته وسرعته أو بطئه.

الصيغ الدالة على الترغيب والترهيب

تتوالى صور الترغيب لتصف نعيم أهل الجنة بهذه الصيغ الفعلية لتؤكد على معاني الإستمرار، فهذه النعم دائمة لا إنقطاع لها، فتجدد آناً فآناً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُدْخلُ الذينَ آمنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ جَنّاتٍ تَجري مِن تَحْتها الأَنْهارُ يُحَلُّونَ فيها مِنْ أساورَ مِنْ ذَهَبٍ وَلؤلؤاً وَلِباسهُم فِيها حريرٌ**﴾، فنلحظ تكرار صور الترغيب في نعم أهل الجنة الدالة على الاستمرارية والدوام. ومن الأمثلة الأخري التي تصف حالة أهل النار، وفيها نماذج من الترهيب والتوعيد لتعكس عذاب أهل النار بأحسن الوجه وتؤكد أيضا بتكرار هذه الصور التي تدل على الترهيب استمرارية العذاب وديمومته، فهو عذاب دائم لا إنقطاع له فتجدد آناً فآناً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَالْذِينَ كَفَرُوا قُطِّعتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِّنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوقِ رُؤوسِهِم الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِم الْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ**﴾، فنلحظ تكرار صور الترهيب في عذاب أهل النار الدالة على الثبوت والدوام.

ظلال الألفاظ

فكلمة (البائس) الواقعة في قوله تعالى: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا إِسْمَ اللهِ فِي أَيّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلَى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الإِنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَإِطْعِمُوا البائِسَ الْفَقِيرَ**﴾، أي أطعموا منها البائس الذي أصابه بؤس وشدة، والفقير الذي أضعفه الإعسار. قال إبن عباس: البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه، والفقير لا يكون كذلك، ثيابه نقية ووجهه وجه غنى (الصابوني، ١٩٩٤م: ج٢/٢٨٨). فالبائس هو الذي وصل في الفقر غايته مما نحس من جرس صوت (الهمزة) شدة فقره وإعساره بحيث مازال يتأوه من الفقر والفاقة.

فكلمة (مرضعة) الواقعة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ**﴾، تدل على الموقف العصيب يوم القيامة، لما فيها من الأحداث المدهشة تدهش الإنسان وتغفله عمن سواه بحيث تنسى الأم حملها لما يلحقها من الدهشة والمصيبة، فحب الطفل غاية الحب ونهايته بحيث لا معنى له في هذا الموقف العصيب. وكلمة الذهول: الذهاب والفرار من الأمر مع دهشة ليدل على أن هذا الأمر (الساعة) فيها مفاجأة والتهويل إلى أن يجعل الأم الشفيق قاسية القلب، غافلة عن طفلها العزيز.

وكلمة (ذاق) في قوله تعالى: ﴿**نُذيقُهُ عَذابَ الحَريقِ**﴾، تدل على مبالغة العذاب وشدته؛ لأن حسّ الذائقة هي أشد الحواس لإدراك الملموسات والمحسوسات، أي نعذبهم عذاباً شديداً لا درجة له ولا ميزان بحيث وصل العذاب إلى غايته لا يدرك بالعقل.

فكلمة (المخبتين) في قوله تعالى: ﴿**وَلِكلِّ أُمَةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُروا إسمَ اللهِ عَلَى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهيمَةِ الأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتينَ**﴾ إي المخلصون لله عز وجل. قال المجاهد: هم المطمئنون بأمر الله عز وجل. فقال أبو جعفر: الخبت من الأرض: المكان المطمئن المنخفض، فاشتقاقه من هذا (النحاس، ١٩٨٥م: ج٣/٩٨).

الدلالة البلاغية

التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، والمراد ها هنا ما لم تكن على وجه الاستعارة التحقيقية (التفتازاني، ١٣٣٩هـ: ج٢/١٩) . فنلاحظ عدة التشابيه في السورة، منه التشبيه البليغ المؤكد في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى**﴾ أي كالسكارى من شدة الهول،أي كأنهم سكارى

يترنحون ترنح السكران من هول ما يدركهم من الخوف والفزع. حذفت أداة التشبيه والشبه، فهذا النوع من التشبيه، أبلغ أنواع التشبيه؛ لأنه مبني على إدعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وله مبالغة رائعة. وفي قوله تعالى: ﴿**حُنَفاءَ لِلّهِ غَيرَ مُشْرِكينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ أَوْ تَهْوي بِهِ الرّيحُ فِي مَكانٍ سَحيقٍ**﴾، يلاحظ التشبيه التمثيل لأن وجه الشبه منتزع من متعدد، للتمثيل دور هام مما يبعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان، لينتبه السامع لما فيه من إقناع وبرهان.

الاستعارة: هي مجاز تكون علاقته المشابه فهو جزء من مجاز مرسل فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد قد يكون إستعارة وقد يكون مجازاً مرسلاً (الهاشمي، ١٩٩٩م: ٢٥٨). وفي قوله تعالى: ﴿**وَلايَزالُ الَذينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ وهذا من أحسن الاستعارات لأن العقيم المرأة التي لا تلد، فكانه وصف ذلك اليوم بأنه لا ليل بعده ولا نهار لأن الزمن قد مضى، والتكليف قد انقضى، فجعلت الأيام بمنزلة الولدان لليالى (الصابونى، ١٩٩٤م: ٢٩٧)، أي فقدان النهار الأخر والليل الأخر من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في يوم القيامة، فحقيقة العقيم المرأة التي لا تلد، استعير لانقضاء الزمان مع بقايا التعاسة والشقاوة على تشبيه إنقضاء الزمان بالمرأة العقيم على طريق الاستعارة المصرحة، إذ لأنه إذا أقبل القيامة أقبل معه إنقضاء الزمن فيجعل ذلك كالعقم على طريق المكنية ومن جهة أخرى نستطيع تشبيه ذلك اليوم بالمرأة العقيم التي لا ثمار لها ولا ولدان على سبيل الاستعارة المكنية. فالغرض من هذه الاستعارة تبيان الموضوع وكشف مقاصده بأقرب منهج، مما يجعل التصوير أكثر ملامسة فيقرب لمسه كأنك تلمسه بأيديك، فهذا الوضوح يكون كالشمس المنيرة بحيث تكشف أمام القارئ بواسطتها تصاوير الأهوال والشدائد المعبرة عنه بأوسع الوجه وأكمل الدلالة سمي يوم القيامة عقيما لأنه ليس يعقبه بعده يوما مثله. نلاحظ الاستعارة أيضا في قوله تعالى: ﴿**قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ**﴾، استعارة عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب يلابسه، فإن المستعار منه (إحاطة الثوب وإلباسه)، وهو أمر حسى، والمستعار له (إحاطة النار)، يكون أمراً حسياً أيضاً ولكن إلباس الثوب أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحي ولايخفى كما أن إلباس الثوب أمر واضح بالنسبة إلى إحاطة النار، فإظهار الصورة بهذا الوجه أشد تأثيراً في النفوس لما يجعله من أثر في القلوب. ومنها الاستعارة التهكمية في قوله تعالى: ﴿**وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾، فالغرض

منها التهكم والسخرية على ما ارتكبوا من أفعال شنيعة فينالهم العقاب نتيجة أعمالهم، ويهديه يعني أسقوه فاستعيرت الهداية التي هي الطريق المستقيم، لسوق في النار الذي هو ضده بإدخال السوق في جنس الهداية، على سبيل التهكم والاستهزاء، واستخدامه فعل السوق فيها معنى الحقارة والذلة، أي هو يسوق في النار كما تحث الراعي الماشية على السير. ومنها قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَّرِيدٍ**﴾، إستعار لفظ الشيطان لكل طاغية متمرد على أمر الله، على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية، ألست ترى طاغية متمرداً، وقد تمثلت في صورة الشيطان الذي وصل في صفة الطغيان غايته بحيث توصل الكلمة من الصورة المخفية إلى الصورة الواضحة المبينة بحيث لا يكاد ينتهى مدى معناه... ونلاحظ أجمل الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ إطْمَأنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ إنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الخُسْرانُ الْمُبِينُ**﴾، وهذا تمثيل للمذبذبين والمنافقين الذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين بل عن قلق واضطراب (الصابوني، ١٩٩٤م: ج٢/٢٨٢). ومثل ذلك الشخص كالذي يكون على طرف من الجيش فإن أحس بظفر أو غنيمة استقر وإلا فر وهو المنافق يعبد بلسانه دون قلبه.

المجاز المرسل بعلاقة غير المشابه: هى نوع من المجاز الذي كان العلاقة بين المعنى الإصلى والمعنى المجازي غير المشابه مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي في اصطلاح التخاطب (التفتازاني، ١٣٣٩م: ج٢/٩٤-٩٥). فنلاحظ هذا النوع من المجاز في السورة، منه قوله تعالى: ﴿**ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ**﴾، فعلاقته السببية وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في غيره وهنا ذكر لفظ السبب (اليد) وأريد منه المسبب لأن اليد هي التي تفعل الخير أو الشر، لذا نشاهد باستخدام (اليد) الدقة في التعبير، فيحصل للنفس بها سرور وفرح، لما فيها من كثرة الدلالة على المعنى المراد. كذلك نرى هذا المجاز في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ من إطلاق الجزء على الكل أي صلّوا لأن الركوع والسجود من أركان الصلاة، فإن إطلاق الجزء على الكل مبالغة بحيث يكون المجاز مصوراً للمعنى المقصود أحسن تصوير، وإنما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما أشرف أركان الصلاة كما إن الصلاة هي الركوع والسجود لا غيرهما.

الكناية: اللفظ المستعمل فيما وضع له، لكن لا ليكون مقصوداً بالذات، بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود مع جواز إرادة المعنى الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته (المراغي، ٢٠٠٢م: ٣٠١). ومنها قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، الكناية (ثاني عطفه) يكنى بها عن التكبر والخيلاء وهذا أشد بيان للتعبير عما كنت تعجز عن تعبيره واضحاً ملموساً.

التمثيل: ينقل التمثيل المعانى من صورتها الأصلية إلى صورة جديدة، مؤثرة، محركة، فالتمثيل يخلق التصوير الجديد المليء بالحيوية والحركة فيكون دليلاً قاطعاً وبرهاناً قانعاً على إثبات المفهوم المجرد، لذلك الفرق الكبير بين المعنى المجرد والمعنى التصويري، فالتصوير شيء منبعث من الروح فيؤثر في الروح، فهو أبلغ من غيره؛ لأنه يضم إلى القيم الذهنية قيمة شعورية إنسانية، تمنحها الحرارة وتجعلها قادرة على الإيحاء الشعوري مثيرة للانفعال، وإلا بقيت باردة في المنطقة الفكرية الباردة (قطب، ٢٠٠٣م: ٩٦) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، أي مثل الكفار في عبادتهم لغير الله كمثل الإصنام التي لا تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة، فهذا برهان قاطع لضعف الأصنام بحيث لا قدرة لديها على خلق شيء زهيد، لهذا كان للتمثيل دور بارز في زيادة تثبيت المعنى وتقريره في نفس المتلقي.

المحسنات المعنوية واللفظية ودلالتهما

الطباق: هو لغة الجمع بين الشيئين، واصطلاحاً الجمع بين معنيين متقابلين (المراغي، ٢٠٠٢م: ٣٢٠). قد تناولت التضاد والمقابلة معاً، دون فصلهما؛ لأنهما من حيث الموضوع شيء واحد في الغالب، فغايتهما هي الكشف عن المعاني العميقة والدلالات البلاغية التي أفادتهما كلاهما، ومن هذه الدلالات:

وقد يفيد التضاد في تحقيق معنى الإحاطة والشمول، وتأكيد السيطرة علي الأشياء المختلفة جميعها، كما في التضاد ما بين (ما بين أيديهم) و(ما خلفهم) في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فنشاهد الطباق أيضا بين (القانع والمعتر) لأن القانع المتعفف والمعتر السائل. ومنه أيضا الطباق السلب بين (مخلقة وغيرمخلقة) في الآية الرابعة و...

والمقابلة اللطفية بين ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» وبين «وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ويهدف هذه المقابلة من وراء هذه المفارقة

التي ينشئها إلى تزئين طريق الإيمان وفضح طريق الكفر، بما يحمله وصف الهداية من ترغيب بالإيمان بوصفه إهتداء للطريق القويم، والصراط المستقيم، وبما يحمله وصف الضلال من التنفير من الكفر بوصفه انحرافا، وتنكبا عن طريق الحق (صالح، ٢٠٠٣م: ٩٥). فيساهم التبشير والتنذير كلاهما في تحقيق التوازن بين حالتي الترغيب والترهيب. لذلك يساهم التضاد في تاكيد المعنى، وإبرازه بصورة أقوى.

تأكيد المدح بما يشبه الذم: نلاحظ هذه الصنعة في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾، إي لا ذنب لهم إلا هذا، هذه الصنعة هي الغاية القصوى في المدح، لأن بعد (إلا) تؤكد المعنى الواقع قبل (إلا). إن الأصل في الإستثناء الإتصال، فإذا تلّفظ المتكلم بغير أو إلا أو نحوهما دار في خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح السابق، أنه إثبات شيء من الذم وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح في أبهى قالب وأنق منظر (المراغي، ٢٠٠٢م: ٣٤٢) . لذلك أن ما بعد (إلا) لكونه خلاف اعتقاد المخاطب أشد تأثيراً في النفوس إلى أن تصل بها درجة المدح أعلى درجة ومنزلة، فهذه هي أهم وسيلة يتخذها المبدع لبلوغ المدح وغايته بحيث لا تحصى درجته.

الجناس: هو لغة جانس الشيء الشيء شاكله، واتحد معه في الجنس، واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى (المراغي، ٢٠٠٢م: ٣٥٤). من أمثلة ذلك الجناس الناقص في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**﴾ ومنه أيضا الجناس الإشتقاق في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، يكون الجناس في الآيات السابقة باختلاف ركنيه في حرفين بحيث كلمات (وجبت، جنوب) و(أرسلنا، رسول)، تعطي للأسلوب شكلاً أكثر توافقاً وانسجاماً، وللمعنى دلالة أوسع، لتساويهما في حروفها وتوازنها في موسيقاها.

النتائج

من أهم ما توصلنا إليه بعد هذه الرجعة السريعة يمكن القول بأن المناهج الأسلوبية لها دور بارز في تنوير المعاني والكشف عن أهم السمات الدلالية المؤدية إلى كنوز المفاهيم بحيث يمكن الوصول إلى المعنى الغائب في النص عن طريقها مما تسهم الأسلوبية إسهاماً كبيراً في نضوج النص وتبيين إعجازه الدلالي لما أن كلام الله المجيد يستوعب على الجماليات الا نزياحية ولكن تحتاج إلى التبيان والبسط وأسلوبية الأنحراف تتماثل بشكل ناضج فيه. فتكشف أهم المظاهر الإنزياحية المكنونة في سورة الحج، وفي نهاية المطاف نستنتج بأن الدلالات الصوتية لها دور واضح في توصيل المعنى،لذلك ساهم تكرار بعض الأصوات والكلمات في زيادة إيقاع الجميل للسورة، بالإضافة إلى تناسق هذه الأصوات، وتلك الكلمات مع الجوّ الذي تطلق فيه، ووظيفتها التي تؤدّيها في كل سياق. عندما تصور أحوال أهل النار تدك بها النفس البشرية فيشعر بالخوف والأسى وتهز هزاً عنيفاً طويلاً وعندما ترسم مشاهد الجنة ونعمها تشعر النفس البشرية بالطمأنينة الخاصة فتدخل في النفس السرور والراحة، لما فيها من الموسيقى اللينة المكنونة في جوانب آياته بحيث تلتئم مع طبيعة النفسية اللينة. كما نجد ذلك في الدلالة الصرفية بحيث يسهم الدلالات الصرفية في تحديد دلالات نص القرآني من خلال معرفة البناء الصرفي وما تحمله من معان مختلفة يحددها أسلوب الخطاب والقرائن الدلالية الأخرى مما تميزت كل الصيغ الصرفية بدقة الاختيار، وبسعة الدلالات حيث يضع كل الصيغ موضعها مما يؤدي إلى تأثير في نفوس المتلقين فاستخدام هذه الصيغ تدل على معاني الإحاطة والشمول في المفاهيم الكلية كالتوسع في الرحمة والتعذيب والاستمرارية في الصفة المشبه و... والكثرة في صيغة المبالغة و... كما نجد أيضا للمستوي الدلالي الدور الهام في توصيل المعاني التي هزت النفوس قبل العقول وقد ساهم في تأدية العديد من المعاني مثل: الرحمة والعذاب والتخويف والترغيب والياس والأمل كما يسهم تكرار بعض المشاهدالحافلة بالراحة والطمأنينة في ترغيب المؤمنين وحثهمكما تقوم المشاهد المريعة بدور هام في ترهيب الكافرين وتخويفهم.

المصادر والمراجع

١. ابن ذريل، عدنان (٢٠٠٠م). النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. دمشق: منشورات إتحاد الكتب العربي.

٢. أبو عودة، عودة خليل (١٩٨٥م). التطور الدلالي بين لغة القرآن ولغة الشعر الجاهلي. عمان: مكتبة المنار.

٣. أنيس، ابراهيم (١٩٧٣م). في اللهجات العربية. ط ٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٤. البهنساوي، حسام (٢٠٠٤م). علم الأصوات. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٥. البياتي، سناء حميد (٢٠٠٣م). قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. عمان: دار وائل للنشر.

٦. التفتازاني، مسعود بن عمر (١٣٣٩هـ). مختصر المعاني. تحقيق محمود حسن الهندي، ط ٢، كراتشي: مكتبة البشرى.

٧. جبر، محمد عبدالله (١٩٨٨م). الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية. الاسكندرية: دار الدعوة.

٨. الخرشة، أحمد غالب (٢٠٠٨م). «أسلوبية الإنزياح في النص القرآني». رسالة الدكتوراه، عمان: جامعة مؤتة.

٩. خفاجي، محمد عبد المنعم؛ والآخرون (١٩٩٢م). الأسلوبية والبيان العربي. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

١٠. الزمخشري، محمود بن عمر (٢٠٠١م). الكشاف. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر (١٩٨٧م). مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. الشايب، فوزي حسن (١٩٩٩م). محاضرات في اللسانيات. عمان: وزارة الثقافة.

١٣. الصابوني، محمد على (١٩٩٤م). صفوة التفاسير. دمشق: مطبعة الصباح.

١٤. صالح، معين رفيق (٢٠٠٣م)، «دراسة أسلوبية في سورة مريم». رسالة الماجستير، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

١٥. عبد الرحمن، مروان محمد (٢٠٠٦م). «دراسة أسلوبية في سورة الكهف». رسالة الماجستير، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

١٦. عبد العال، محمد قطب (١٤١٥هـ). من جماليات التصوير في القرآن الكريم. الرياض: الشركة السعودية للتوزيع.
١٧. عبد الغفار، هدى عطية (٢٠٠١م). «السجع القرآني دراسة أسلوبية». رسالة الماجستير، القاهرة: جامعة عين الشمس.
١٨. عرار، مهدي أسعد (٢٠٠٢م). جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية. عمان: دار وائل للنشر.
١٩. عموري، نعيم (١٤٣٨هـ). دراسة الدلالة الهامشية في آيات من القرآن الكريم. مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٣، العدد ١، صص٩٩-١١٥.
٢٠. قطب، سيد (٢٠٠٣م). النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ط ٨، القاهرة: دار الشروق.
٢١. القيسي، مكي بن أبي طالب (٢٠٠٥م). الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها. تحقيق وتعليق أسامة هيثم عطايا، دمشق: دار الفارابي.
٢٢. المراغي، أحمد مصطفى (٢٠٠٢م). علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٣. المسدي، عبدالسلام (١٩٨٢م). الأسلوبية والأسلوب. ط ٢، تونس: الدار العربية الكتاب.
٢٤. النحاس، أبو الجعفر أحمد بن محمد (١٩٨٥م). إعراب القرآن. تحقيق زهير غازي زاهد، ط ٢، بيروت: مكتبة النهضة العربية.
٢٥. الهاشمي، أحمد (١٩٩٩م). جواهر البلاغة. تحقيق يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية.